انتاج المغرب الأقصى في الميزان

الدكتور اكرم فاضل

(بغـــداد)

تطالعنا مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها «المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي» بابحاث دسمة يتوفر عليها جهابذة اللغويين . ومن هؤلاء الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله . فالرجل طويل الباع في اللغتين العربية والفرنسية على الاقل ، وعساه ان يحسن لغة ولغات اخرى . وقد تناول في احد اعداد هذه المجلة الفريدة « مصطلحات الصوفية » فاذا بها معجم واف باللغتين الانفتي الذكر . وله في هذا المجال مصطلحات وتحقيقات عديدة .

ويطلع علينا هذه المرة بالكتب ، فاذا نحن تجاه ثلاثة كتب طريفة :

1 ـ الطب والاطباء بالمغرب .

2 ـ المعجم التاريخي

3 ـ L'Art Maghrébin

ا) ـ الطب والاطباء بالمغرب . قدم له الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة الرباط . والكتاب يقع في 109 صفحات .

ونعد المراجع العربية فاذا عددها لا يقل عن ستين مرجعا .

ونحسب المصادر الغربية فاذا هي ليست دون سبعة عشر مصدرا .

وتتالق في هذه الموارد اسماء جليلة من العرب والفرنج .

وقد صنف المؤلف الكتاب على الوجه التالي : المقدمة ، نشاة الطب في الاسلام ، الطب في الاسلام ، الطب في المغرب والاندلس ، الطب في عهد المرابطين والموحدين . العهد المريني والوطاسي، العصر السعدي والطب في عهد العلويين ، لائحة المخطوطات الطبية بالمكاتب المغربية .. الخ ..

واسلوب المؤلف في هذا الكتاب اسلوب العالم الاديب . واليكم هذه العبارة ص 63 « ويلاحظ رينو انه في المدة المتراوحة بين 867 و 1325 اي طوال اربعة قرون ونصف قرن طرات المجاعة بالمغرب ست عشرة مرة . وتسكت المصادر التاريخية عن المدة المتراوحة بين 1325 و 1614 .. » ما اجمل كلمة المتراوحة !

ب) ـ المعجم التاريخي .. ويقع في 80 صفحة من القطع المتوسط . لم يبدا المؤلف بمقدمة ، كعادة المؤلفين ، او كعادته هو ، بل يستهل بحثه بكلمة « الاخماس » فيقول « كثير من قبائل المغرب كانت

مقسمة الى اخماس . والخمس عبارة عن وحدة عسكرية لا ادارية ، لان كل خمس يحتوي على جماعة من الرماة على راسهم مقدم ، ولها علم ذو لون معلوم قد نقشت عليه عبارة (لا اله الا الله) .

وينتهي القويميس بكلمة (يعقوب الموحدي) . فيذكر انه مدفون بتينمل . وقد حكى بعض المشارقة وجود قبر للمنصور في الشام (البيان لابن عذارى جـ 4 ص 191) .

والكتاب كله فوائد وملح وطرائف. والقاريء تجاهه لا يسعه الا الاعجاب بلغة المؤلف وسعة اطلاعه وعمق تفكيره .

ج) ـ الفن المغربي ،وهو ثالثة الاثافي، وقد وضعه باللغة الفرنسية . وللمؤلف كتاب آخر باللغة الفرنسية عنوانه « التيارات الكبرى للحضارة المغربية » . وله في العربية عدة كتب فريدة ومقالات مبثوثة في مختلف المجلات العربية الكبرى .

مقدمة الكتاب محبرة بقلم رئيس جامعة الرباط الاستاذ محمد الفاسي ، الذي يستهلها بقوله : « كثيرة تلك المؤلفات عن فنون الاقطار الاسلامية ، لاسيما عن فنون المغرب . ومن بينها دراسات فاخرة عن التقنية الفنية وكذلك عن التطور التاريخي . ولكن هذه المصنفات كلها على وجه التقريب غير ميسرة المراجعة لعامة الجمهور . فهي منطقة مقفلة في أوساط المتخصصين » .

ويسترسل بعد ذلك فيقول عن كتاب بنعبد الله انه جاء لتكملة النواقص. وهو ان لم يكن بوسعه ان يحل محل المؤلفات العظمى التي نهض بها كل من امثال مارسيه Marçais وريكار Ricard وتيراس Terrasse فانه يشكل مساهمة مهمة في دراسة الفن الوطني منذ اصوله الاولى .

ويثني الفاسي بعد ذلك على سعة ودقة تحقيقات المؤلف . ويقول انه قد استكشف تفاصيل لم يسبق لاحد بحثها .

وهناك نقطة خطيرة ينبه اليها ، الا وهي قوله : « ان المؤلف يلفت انتباه القاريء الى نقطة فنية بالتاملات والايماءات قوامها « ان الفن البربري يرتبط ارتباطا وثيقا بهندسة قديمة للغاية تتعلق بالواحات التي ربما ابتدعتها مصر الفرعونية او على الاقل اشاعتها .

ويتحدث بعد ذلك عن فترة الموحدين .

ويقول كذلك ان ابن فرناس قد اكتشف طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجارة .

ويحدثنا الاستاذ ان مخطوطة عربية قد اكتشفت في مكتبة الاسكوريال مصنوع ورقها من القطن ويرجع تاريخها الى القرن الحادي عشر .

والكتاب يقع في 174 صفحة محلاة بالصور البديعة .

اما المصادر فتربو على الخمسين .

واقسام الكتاب قسمان .

ويستهله بنبذة عن الفن اليوناني والبربري والعربي . فالقرون الاولى للاسلام . فالفن في عهد الموحدين .

حتى اذا ادى بنا المطاف في الفهرس الى الفصل السادس قرانا عنوانه « الفنون الصناعية » .

هذه الكتب كلها منافع ومنابع للتامل والتفكير ، لا يغني التحدث عنها فتيلا عن قراءتها .